

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

الجزء الثانى والأربعون

ذو الحجة ١٣٩٨ هـ - نوفمبر ١٩٧٨ م

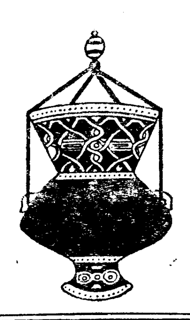
المشرف على المجلة :

الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير :

إبراهيم الترزى

الفهرس



من التراث اللغوى :

تعريف ونقد :

من أنباء المجمع :

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

من مكتبتى

الدكتور مهدى علام ، الأمين العام للمجمع ، والمشرف على المجلة

المكتبة الشخصية رفيق عزيز لصاحبها ، وتزداد الصداقة بينهما على مر الأعوام ، بل على مر الأيام فكلما أضاف إليها كتابا كان ذلك بمثابة التنمية الروحية للعلاقة بين المكتبة وصاحبها .

بل إنه إذا لم يضف إليها جديدا من الكتب ، على مدى فترة قصرت أو طالت ، فإن الشعور بالإعزاز لها لا يقل ، فهى للعالم الذى يقتنيها أعز من كنز المال لمختزنه .

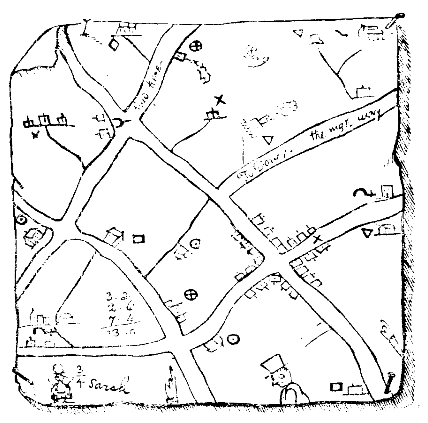
ولا أريد — ولا أستطيع — أن أدعى أن شعورى نحو مكتبتى يمتاز عن شعور زملائى ونظرائى نحو مكتباتهم . فمن قديم وصف الكتاب بأنه « خير صديق فى الزمان » وصداقة الكتاب دائمة مهما غطى الزمان على بدئها أو على بعض مراحلها . ونحن حين يتاح لنا من الزمن ما يجعلنا نقلّب بين كتب طال العهد بقراءتها ، أو بمجرد رؤيتها ، نشعر بأننا نلاقى أصدقاء قدامى ، وكأنما تناجيها ، وتناجينا ، فتعود بنا الذاكرة إلى يوم شرائها ، وإلى مبلغ السرور الذى شعرنا به حين دفعنا لها ثمنا ، قروشا قليلة (فى كثير من الأحيان) كما نذكر بعض ما جاء فى تلك الكتب من مسائل علمية كان لها أهمية عظيمة فى مرحلة من مراحل حياتنا .

وأستأذن القراء فى الإشارة إلى عمل شائع — أو حادث — بين كثير ممن يلحقهم الإرهاق أحيانا ، ويريدون أن يلتمسوا الراحة فى قراءة حرة لم يخطط لها ، ولم تعمد إلى هدف فكرى خاص ، فينهضون إلى رفوف كتبهم يتوسدونها حتى تقع عينهم على أحدها ، فيستلّونه ويقلبون صفحاته ، وقد يقفون عند بعضها وقفة طويلة ، فإذا هذه القراءة تجلب الراحة للنفس ، وتزيل الإجهاد بما تعيد إلى الذهن من ذكريات تتصل بالمادة المقروءة فى الكتاب الذى قدمته المصادفة .

وكثيراً ما ألاقى مثل هؤلاء الأصدقاء فأجد فى لقائهم متعة عقلية عظيمة .

وقد وجدت فى أحد هذه الكتب طرفة تاريخية رأيت أن أشرك قراء المجلة فيها .

فهذا كتاب « قصة الحروف الهجائية »[1] مضى على شرائى له أكثر من نصف قرن . وفى أحد فصوله يتعرض مؤلفه لخريطة لشحاذ ، منشورة فى « معجم اللغة العامية » تأليف هُورتِن والمنشور سنة ١٨٦٩ ، فينقلها . وفيما يلى صورة لها :



وهذه ترجمة للعلامات التى وضعها صاحبها الشحاذ ، لترشده عن الأماكن التى يزورها ، فى جولاته لممارسة نشاطه :

× لا فائدة : فى منتهى الفقر ، ويعرفون أكثر من اللازم .

+⌒ قف إذا كان معك ما يحتاجون إليه فسيشترون . وهم على قدر لا بأس به من المعرفة .

—⊂ اذهب من هذا المسلك : فهو أفضل من الطريق الآخر . فليس هناك فائدة فى ذلك الطريق .

◊ حسن . هناك أمان . كُفَّ عن الثرثرة ، وارحل .

▽ أفقده مزيته كثرة التردد عليه .

⌴ غير مناسب . من المحتمل أن يتسببوا فى إلقاء القبض عليك . احترس من الكلب .

⊙ خطر : من المؤكد شهر فى السجن .

⊕ متدينون ، ولكنهم بصفة عامة مناسبون .

* * *

وبعد ففى هذه الخريطة والتعليق الذى عليها ، دلالة واضحة على أن الكُدْيَة كان لها وضع تخطيطى فى العصر الذى تنتمى إليه هذه الوثيقة . ومن غير مجازفة فى الاستنتاج ، نستطيع أن نطمئن إلى أن مثل هذا التخطيط كان معروفا لدى شحاذين آخرين ، وإن لم يدونوه بمثل هذه الدقة ، ويحولوه إلى صورة فنية ممتعة . بل يمكن أن نتصور أن بعض الشحاذين فى بلادنا لهم آرؤاهم ووسائلهم فى اقتناص فرائسهم . فمنهم من لا يعتمد على تغيير « مسرح العمليات » ؛ بل يعتمد على تغير المرتادين لهذا « المسرح » . فالذين يلازمون أبواب الأضرحة يعتمدون على

(1) The story of the alphabet, by Edward, Cload London : George Newnes, ltd . وليس فيه تاريخ الطبع ، ولكننى اشتريته سنة ١٩٢٢ إبان دراستى فى إنجلترة ، ويشير مؤلفه (ص ٥٦) إلى أنه نقل « الخريطة » التى أنقل صورة لها فى هذه العجالة من كتاب Slang Dictionary, by hotten. المطبوع (سنة ١٨٦٩) .

أن زوارها يتجددون يوما بعد يوم ، وموسما بعد موسم ، من أهل الريف . ومنهم من يعوّل على المناسبات ، كالأعياد الدينية أو حالات الوفاة أو الدعاء لأهل المرضى أمام المستشفيات .

وقد رأيت شحاذة «مجدّدة» كانت تأتى أمام كلية البنات الإسلامية بمدينة نصر ، فى صباح أيام الامتحان ، وتدعوا بالنجاح لكل طالبة وهى تعبر إلى مدخل الكلية . وكان معظم هؤلاء الألوف من الفتيات يسقط فى حجر هذه « الفنانة » ما تيسر من النقود .

وقد نشرت إحدى الجرائد فى الصيف الماضى أن الشرطة ألقت القبض على شحاذة فى العباسية ، ووجدت معها مبلغا كبيرا جدا من النقود ، قالت إنه حصيلة يومها من الطلاب فى جامعة عين شمس وهم فى طريقهم إلى لجان الامتحان .

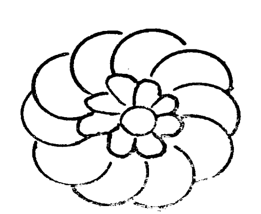
ومنذ بضع سنوات انتحل صحفى نابه قدير حرفة الشحاذة .

وقد عرض فى الصحف وفى التليفزيون النتائج الباهرة التى كانت من نصيبه . وكان مما عرفناه من تجربته أن هناك مناطق نفوذ لعدد من المحترفين لا يستطيع أن يعتدى عليها غيرهم . وأن هناك مناطق تؤجر أو تباع لاستغلالها ، على نحو ما هو متبع بين النشالين المتخصصين فى « استغلال » خطوط خاصة من طرق المواصلات العامة .

ولكن هذا يجرنا إلى موضوع خطير له تاريخ قديم فى الإنتاج الأدبى وفى البحث الاجتماعى ، وهو موضوع الكدية .

ولعل الله تعالى يأذن أن يتاح لنا من الزمن ما يمكننا من الكتابة فيه .

مهدى علام



بحوث ومقالات

مجمع القاهرة والمصطلح العلمي

للدكتور إبراهيم مدكور

ترجيع

فكرة هذا المجمع إلى القرن الماضي ، دعا إليه الأستاذ الإمام محاكاة لما عرفه عن الأكاديمية الفرنسية أثناء إقامته فى باريس وحقق الفكرة بالفعل فى صورة متواضعة فى نهاية هذا القرن ، وفيما سمى « بمجمع البكرى » ولم يقدر لهذا المجمع أن يعمر طويلا. ثم أثير الموضوع فى قوة فى أوائل القرن العشرين ، وبخاصة فى « نادى دار العلوم ». وأعيدت التجربة مرة أخرى فى العقد الثانى من هذا القرن فيما سمى « مجمع دار الكتب » وكان هو الآخر مجمعاً أهليا متواضعاً ، عمر بضع سنوات ، ولم يلبث أن توقف نشاطه. وكان لابد لنا أن ننتظر إلى العقد الرابع من هذا القرن ، لكى نشهد ميلاد مجمع القاهرة الحالى (١٩٣٢) وقد أريد به أن يأخذ فى تكوينه شكلا يختلف عن المجامع والأكاديميات اللغوية الأخرى ، فلم تقصر عضويته العاملة على الأعضاء المصريين وحدهم ، بل امتدت إلى غيرهم من العرب والمستعربين وكان عدد أعضائه عند تكوينه عشرين ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر من العرب والمستعربين ، ولم يراع فى اختيار هؤلاء جميعاً أى اعتبار لتمثيل سياسى أو إقليمى ، بل بنى هذا الاختيار على أساس خدمة العربية والاشتغال بعلومها. وبقى هذا محترما ومعمولا به بنسب متفاوتة حتى عام ١٩٦١ ، ثم أريد أن تقصر هذه العضوية على المصريين وعلماء العرب ، وفى تعديل أخير لقانون المجمع حرص المجمعيون على أن يعودوا إلى تقليدهم القديم ، وفتحوا باب العضوية العاملة للمستعربين مرة أخرى . أما العضوية المراسلة فكانت ولاتزال تغذى بخدام اللغة والثقافة الإسلامية شرقا وغربا ، من آسيويين وأفريقيين وأوربيين وأمريكيين . وكان لهذا التعاون شأن فى وضع قواعد العمل المجمعى ، ورسم خطة واضحة لخدمة اللغة.

(أ) اللغة بين الحاضر والماضى :

حياة كل لغة فى أمرين هامين : ماض له قداسته ، وحاضر له متطلباته ، واللغات الحية هى تلك التى تعتز بماضيها وحاضرها معا . وتكاد تتخلص مهمة المجامع اللغوية

فى الملاءمة بين هذين الجانبين ، فتستبقى من الماضى أسلسه وأنفسه ، وتتقبل من الحاضر أحكمه وأدقه ، وماضى اللغة تراث أدبى من نثر ونظم ، وتراث فكرى من علم وفلسفة . وعلى المجامع أن ترعى هذا التراث ، وتدعو إلى إحيائه ، وعبثا تحاول إن شاءت أن تحيى الألفاظ الغريبة والمهملة . وفى الماضى اللغوى عصور ازدهار وعصور ركود. وكثيرا ما طال الحديث حول عصر الاحتجاج اللغوى : أنقف به عند القرن الثانى للهجرة أو نمده إلى القرون التالية ؟ ولعل من الخير ألا نقف طويلا اليوم عند هذا الخلاف ، لأن فى «عصور الركود» الأدبى درراً لايصح أن نهملها .

وحاضر اللغة ماتعيش فيه من مستحدثات العمران والمدنية ، ومبتكرات العلم والتكنولوجيا . وما تواجهه من مشاكل الفرد والمجتمع ، وما تضطلع به من أعباء السلم والحرب ، وما تعبر عنه من شؤون المال والاقتصاد والسياسة . وحاضر اللغة باختصار هو المجتمع فى شتى مظاهره . وقد عدت بحق ظاهرة اجتماعية تسير بسير المجتمع ، وتقف بوقوفه . وتمتاز العربية — بين اللغات العالمية الكبرى — بأنها قديمة وحديثة فى آن واحد ، واستطاعت أن تسد فى الماضى حاجة العلم والحضارة الإسلامية الكبرى ، وها هى ذه تواجه متطلبات النهضة العربية المعاصرة . وفى حاضرها ما يملؤنا ثقة بأنفسنا . وما يشعرنا بأنا نملك حقاً لغتنا . ونستطيع أن نتصرف فيها .

(ب) العمل المجمعى :

إنه لطويل وشاق ، يتطلب صبرا وأناة ، وعلما ودراية ، وذوقا وحسن تقدير . ويعيش المجمعيون — كغيرهم — بين تيارين متقابلين : محافظة وتجديد . ويكاد يدور حوارهم وجدلهم حول هذين الاتجاهين ، وفى هذا التقابل ما يضمن قسطاً غير قليل من الاتزان فى الحكم وسلامة التقدير . وقد تكتب الغلبة أحيانا لأنصار القديم ، ولكن الزمن فى سيره يفرض سلطانه على أشد الناس محافظة . وفى تاريخ مجامعنا اللغوية العربية المعاصرة — على قصره — ما يشهد بتطورها ، ويبرهن على تلاقى المحافظين والمجددين على كلمة سواء .

ونخطئ إن زعمنا أن المجامع تستأثر وحدها بخدمة اللغة . لأن لكل لغة حياة أطول وأعرض ، وأقوى وأنشط مما يجرى بين جدران مجمع لغوى . لها حياتها فى البيت والمدرسة ، فى الحقل والمصنع ، فى السوق والمتجر ، فى المكتب والديوان ، فى

الصحف والمجلات فى المسرح والسينما ، فى الكتب والمؤلفات ، فى المعاهد والجامعات وهنا تحيا اللغة وتتطور ، تخلق وتبتكر. تسير مع الزمن ، وعلى المجامع اللغوية أن تتابع هذا السير ، وتراقب خطاه ، فتلاحظ وتسجل ، وتقر ما استقام وشاع ،وترفض ما اعوجّ أو خرج على الأصول الثابتة. توحى ولا تأمر ، ولوحيها أثره ، ولتوجيهها فعله ، وعليها أن تعول دائما على الخبراء والمتخصصين .

ويدور العمل المجمعى حول أبواب مختلفة أخصها تيسير اللغة فى متنها وقواعدها وكتابتها ، وتهذيب المعجم اللغوى وتطويره بحيث يتمشى والمنهج العلمى الحديث ، وإمداد لغة العلم والحضارة بما تحتاج إليه من مصطلحات وألفاظ ، ووضع معجمات علمية متخصصة وإحياء التراث اللغوى ، وتشجيع الإنتاج الأدبى .

ويعنينا أن نقف قليلا عند المصطلح العلمى ، ونبين مدى إسهام مجمع القاهرة فيه .

(ج) المصطلح العلمى :

لكل علم لغة خاصة تعتمد على مصطلحاته وتعبيراته ، وبها يتم الفهم والتفاهم بين طلابه والمشتغلين به . وكم من مصطلحات ماتت فى مهدها ، لأنها لم تؤد وظيفتها على وجهها الصحيح . وحياة المصطلح فى استعماله وشيوعه بين أخص المختصين به ، وإن لم يقبله هؤلاء فمن العسير أن يقبله الآخرون . وفى توحيده تثبيت له وتعزيز . وتحيا اللغة العلمية كلها بحياة العلم نفسه ، وحيث لا علم لا سبيل إلى التحدث عن لغة علمية .

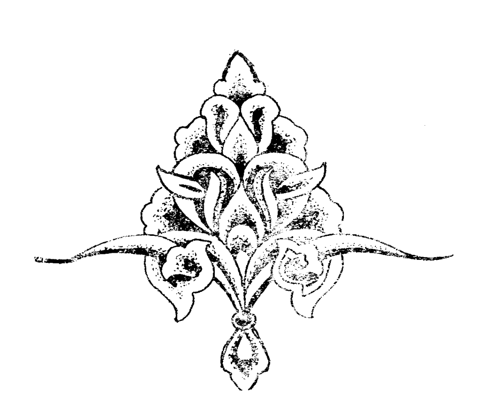
وحظيت العربية قديما بعلم أصيل ؛ أخذت وأعطت ، وكان لعلمها شأن فى النهضة الأوربية الحديثة. ولهذا العلم لغته ومصطلحاته. وقد عول واضعوها على النقل والاشتقاق ، ولم يبالوا بأن يكون المصطلح عربيا أو معربا وربما آثروا المعرب إن كان أدل على المعنى وأكمل فى الأداء . وما إن حل القرن الرابع الهجرى حتّى اكتملت لغة العلوم الإسلامية ، واستقرت مصطلحاتها ، وتداولها الباحثون فى العالم الإسلامى جميعه ، وانتقل قدر منها إلى اللغات الأجنبية . ويوم أن ركد البحث العلمى فى العالم العربى ، ركدت لغته معه . ثم جاءت النهضة العربية الحديثة فى القرن الماضى ، فحاولت أن تحيى علومها . وقد نشطت الحركة العلمية العربية فى القرن الحاضر ، وأخذت تكون من جديد لغتها ، مستعينة بالدراسات العالية والجامعية ، ومعولة على الهيئات العلمية بوجه عام ، وعلى المجامع اللغوية بوجه خاص .

(د) عناية مجمع القاهرة به :

لاشك فى أن لغة العلم ومستحدثات الحضارة كانت من أهم البواعث التى دفعت إلى قيام المجامع العربية . ويكفى أن نشير إلى أن « مجمع البكرى » شغل ببعض ألفاظ حضارية «كالمدره» للأفوكاتو ، «والمسرة» للتليفون ، واقترح « مجمع دار الكتب » : « المليل» للفول المدمس ، «والوثل» للسلب. ولمجمع القاهرة شأن كبير فى وضع المصطلح العلمى ونشره ، والدعوة إلى توحيده : وقد أعد للأمر عدته ، فكون منذ نشأته لجانا متخصصة لتحرير لغة العلوم المختلفة ، ورسم على مر الزمن منهجا واضحا لوضع المصطلح والتعريف به ، وحرص على نشر مقرراته فى هذا الباب بشتى الوسائل، وآمن بضرورة توحيد المصطلح العلمى والأخذ به .

وسنعرض لهذه الجوانب فى الأعداد التالية ، إن شاء الله .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع



البلاغة عند ابن رشد

للدكتور شوقي ضيف

(١)

مقدمة :

لا نكاد نتقدم فى القرن الثالث الهجرى حتى نرى القائمين على وضع معايير البلاغة العربية تتوزعهم ثلاث اتجاهات : اتجاه لغوى محافظ يتخذ من الأمثلة العربية الخالصة معايير هذه البلاغة على نحو ما هو معروف عن اللغويين ، واتجاه مجدد مسرف فى التجديد يتخذ من البلاغة اليونانية معايير للبلاغة العربية ، ويمثله المتفلسفة والمترجمون ممن يلتمسون تلك المعايير لدى اليونان ، واتجاه معتدل لا يسرف فى التجديد ولا فى المحافظة ، بل يوازن بين معايير اليونان ومعايير اللغويين ويختار منها جميعا ما يلائم البلاغة العربية ، ويمثله المتكلمون .

وكان من أهم ما عُنيتْ به بيئة المترجمين والمتفلسفة نقلُ كتابى أرسطو عن الخطابة والشعر الى العربية ، أما كتاب الخطابة فيذكر ابن النديم فى مصنفه «الفهرست» أن اسحق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨ للهجرة نقله الى العربية ، ويقول إنه يصاب بنقل قديم ، وأكبر الظن أنه نُقل منذ أواخر القرن الثانى الهجرى أو على الأكثر منذ أوائل القرن الثالث فإن من يقرأ الملاحظات والوصايا البلاغية الكثيرة المتناثرة فى كتاب البيان والتبيين للجاحظ المؤلف فى أواخر العقد الثالث من هذا القرن السالف يحس بوضوح أثر القسم الخاص بالعبارة أو الأسلوب من كتاب الخطابة لأرسطو . ويتسع فيما بعد أثر هذا القسم فى كتاب البرهان فى وجوه البيان لابن وهب المؤلف فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى . ومعروف أن القسم الأول من كتاب الخطابة لأرسطو يتحدث فى تفصيل عن أنواع الخطابة السياسية والقضائية والحفلة ما يتصل بها جميعا من غايات كفاية النفع فى السياسية ودفع الظلم فى القضائية وبث الفضائل فى الحفاية . ويتحدث القسم الثانى من الكتاب عن انفعالات السامعين وعواطفهم وما ينبغى أن يلاحظه الخطيب من الملاءمة بين خطبته وما يناسب سامعيه مفيضا فى تحليلات نفسية قيمة . ولم ينتفع أصحاب البلاغة العربية أى انتفاع بهذين القسمين . الأول والثانى من كتاب

الخطابة لأرسطو إلا ما تمثلوه من فكرة مقتضى الحال . وهى مكررة مرارا فى كتاباتهم ، بل جعلوها جزءا لا يتجزأ من تعريف البلاغة إذ قالوا إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .

ويرجع عدم انتفاعهم بالقسمين الأول والثانى من كتاب الخطابة المذكور إلى أنهما يتناولان بالتفصيل نظما من الحكم تتصل بالخطابة السياسية لم يكن يعرفها العرب ، وكانوا لا يعرفون الخطابة القضائية . فأهملوا لذلك هذين القسمين من الكتاب إهمالا تاما ، بينما انتفعوا بالقسم الثالث الخاص بالعبارة أو الأسلوب ، إذ وجدوه عاما لا يختص بأمة دون أمة ولا بلسان دون لسان . وبدأ بهذا الانتفاع الجاحظ ثم ابن وهب ، ثم أربى عليهما عبد القاهر الجرجانى فى هذا الانتفاع مضيفا إلى أرسطو مالا يكاد يحصى من المعانى والخواطر والآراء مما يجعله بحق مؤسس البلاغة العربية ورافع صرحها القويم .

ونُقل إلى العربية كتاب الشعر لأرسطو مبكرا فيما يبدو لما ذكره ابن النديم من أن للكندى الفيلسوف المتوفى سنة ٢٥٢ مختصرا فيه ، مما يؤكد أنه كان قد ترجم إلى العربية ، إذ لم يكن الكندى يعرف اليونانية فهو لم يختصره عنها مباشرة ، بل اختصره عن ترجمة عربية إما كانت معاصرة له ، وإما كانت سابقة لزمنه . ويقال إن إسحاق بن حنين ترجم الكتاب ، غير أن العصور بعده لم تحمل ترجمته . ونمضى إلى القرن الرابع الهجرى فنجد مَتَّى بن يونس يعنى بترجمته ، وقد حملت إلينا العصور الماضية تلك الترجمة ومن يقرؤها يلاحظ توا تعثر مَتَّى فى الترجمة وأن معانى الكتاب استغلقت عليه ، لسبب طبيعى ، وهو أن أرسطو فى الشطر الأكبر منه يتحدث عن المسرح والتراجيديا والكوميديا ، مما لا يعرفه متى والعرب من حوله ، فلم يفهم أفكار الكتاب ، وبلغ من سوء فهمه أن ظن أن التراجيديا عند اليونان تقابل شعر المديح عند العرب وأن الكوميديا تقابل شعر الهجاء ، وأدار معانى الكتاب على هذا الفهم المخطىء ، وبذلك أفسد ترجمته وغدت سقيمه أشد السقم .

(٢)

ابن رشد وتلخيص كتاب الخطابة

أخذ فلاسفة العرب يعنون بكتاب الخطابة لأرسطو منذ القرن الرابع الهجرى يتقدمهم الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩ للهجرة ، إذ وضع شرحا له ، غير أن هذا الشرح سقط من يد الزمن فلم يصل إلينا ، وصنع له ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ تلخيصا وصل إلينا ، كما وصلت إلينا ترجمته العربية القديمة ولخصه الفيلسوف القرطبى ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ ونُشر هذا التلخيص فى القاهرة مرتين مرة بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٦٠

ومرة بتحقيق الدكتور محمد سليم سالم . ولاحظ الدكتور بدوى أن ابن رشد لا يحتفظ فى تلخيصه لكتاب الخطابة من كلام أرسطو إلا بألفاظ قليلة وأنه تحول بتلخيصه إلى شرح موسع لنصوصه ، ولاحظ الدكتور سالم أن ابن رشد يورد فى عرضه للكتاب أمثلة من الشعر العربى لكل مبدأ من مبادئ البلاغة اليونانية ، ويتضح ذلك فى القسم الثالث من الكتاب وهو القسم الخاص بالعبارة وما أنشد فيه من أشعار الشعراء .

وابن رشد فى هذا القسم يفصل القول مرارا فى الأبواب الأساسية فى علم البيان : أبواب التشبيه والاستعارة والكناية . أما التشبيه فقد أشار إلى أدواته وإلى أن للأمم أعرافا فى تشبيهاتها تستمدها من بيئتها ويقول إن كثيرا من تشبيهات العرب غير بيّن عند سائر الأمم ، مثل قول امرىء القيس يصف حمار الوحش وما يثير من غبار فى الصحراء أثناء عدوه :

يُهيل ويُذْرِى تُرْبَها ويثيره
إثارةَ نبَّاثِ الهواجر مُخْمِس

وهو يشبه إثارة حمار الوحش للغبار باثارة نباث الهواجر المخمس ، وهو البعير الذى يثير التراب فى وقت الهاجرة والقيظ الشديد ليحس برد الثرى فيسكن عنه العطش . ويقول إنه مخمس أى أنه شديد الظمأ وأنه ما يزال يطلب الماء خمسة أيام طوال ، وواضح أن التشبيه مستمد من البيئة الصحراوية خاص بها ، فإن نباث الهواجر المخمس إنما يعرفه سكان البوادى والصحارى .

ويذكر ابن رشد تشبيه المفرد وأنه يرتفع درجات حين يستتم المشبه به صفته أو فعله ، فينتزع الشبه بذلك من أحواله ، ويمثل لذلك بقولهم : «فلان يشبه قردا يزمر بأنبوب» ويتابع أرسطو فى أن التشبيه قد يكون نابيا كقول القائل عن شخص إن ساقيه جعدتان كالكرفس ، ويحذر الشعراء من الوقوع فى مثل هذا التشبيه النابى . وينبّه الى أن التشبيه ينبغى أن يكون بين أشياء متجانسة ، إما فى النوع مثل تشبيه الإنسان الجميل بيوسف ، وإما فى الجنس القريب مثل تشبيه العرب المرأة الحسناء بالظبية ، وإما فى الجنس البعيد مثل تشبيه المرأة الحسناء بالشمس . فلا بد من وجه شبه يجعل طرفى التشبيه يلتقيان فى جنس واحد أو جامع واحد وإلا كان التشبيه رديئا . ويذكر أرسطو التشبيهات التمثيلية المركبة وأنها تنتزع من أمور متقابلة فى الطرفين ، ويمثل لذلك بقول بعض اليونانيين عن شبان من إحدى المدن قُتلوا فى بعض المعارك أنهم « فُقدوا من المدينة كما لو أن أحدا أخرج الربيع من دور السنة » . ويقول هنا إن أرسطو ذكر أمثلة أخرى كثيرة من أقاويل مشهورة عندهم يعسر فهمها بحسب لساننا وعاداتنا ، ويضرب لذلك مثالا عربيا يوضح هذا النوع من التشبيه

التمثيلى هو قول المتنبى فى جنات شِعْب بَوّان ورياضه .

مغانى الشِّعْب طِيباً فى المغانى
بمنزلة الربيع من الزمـــان

فتلك المغانى والرياض تفضل سائر المغانى فى الدنيا طيباً وشذى عطراً كما يفضل الربيع بحسنه وبهائه سائر الفصول والأزمنة .

ويتحدث ابن رشد مرارا عن الاستعارة على هدى مانثره أرسطو من آراء . ويذكر أن الاستعارة التصريحية تقوم على التشبيه بين المستعار والمستعار له ، وأنها تأتى طيعة منقادة على نحو مايلاحظ فى تشبيه النساء بالظباء ، فقد يذكر المشبه والمشبه به معا : فيقال النساء كالظباء وقد يذكر المشبه به وحده ، يقول : وهذا النوع يسميه أهل زماننا بالاستعارة مثل قول ابن المعتز :

يادار أين ظباؤكِ اللُّعْسُ
قد كان لى فى أنسها أنْسُ

فقد عبَّر ابن المعتز عن النساء بالظباء على طريقة الاستعارة التصريحية .

ومعروف أن هذه الاستعارة تقابلها عند البلاغيين الاستعارة المكنية فى مثل « أنشبت المنية أظفارها بفلان » فإنهم يرونها هى الأخرى قائمة على التشبيه ، وكأن قائل هذه الكلمة يشبه المنية بحيوان مفترس . وجعلهم ذلك يحملون حملات شعواء على أبى تمام إذ رأوه يكثر من هذه الاستعارة دون أن يتضح فيها التشبيه وهى لاتقوم على التشبيه وإنما تقوم على بث الحياة والأفعال فى الأشياء من المعانى المجردة وعناصر الطبيعة ، ولذلك فصلها أرسطو عن الاستعارة وسماها « وضع الشىء نُصْبَ العين » أى جَعْله حيًّا وله أفعال الأحياء المنظورة . وتبعه ابن رشد يفصلها عن الاستعارة ، ومثل لها ببيت لأبى العلاء يصف فيه سيفا وبطشه بالأعداء ، إذ يقول :

توَهَّم كلَّ سابغة غَدِيرا
فرنَّق يشرب الحلَقَ الدِّحالا

وواضح أن أبا العلاء بث الحياة فى السيف إذ جعله ظمآن يظن لظمئه الشديد كل درع سابغة مصبوبة على الفرسان غديرا ، فرنق وحوم حولها تحويم الطير الظامئة يريد أن يسقط على حلق الدروع المتداخلة يظنها ماء . وكل ذلك تصوير لفتك السيف بالأعداء ، ولم يشبه أبو العلاء السيف بطائر على طريقة الاستعارة المكنية كما قد يظن ذلك البلاغيون عندنا ، بل جعله طائرا فعلا ، يتنفس تنفسه ويفعل أفعاله من التحويم والسقوط على المياه . ويدل على صحة نظر أرسطو أنك لا تستطيع أن تقول السيف طائر على التشبيه أو الاستعارة ، إنما يقع ذلك فى ذهنك بعد أن ترى مايضاف إليه من الأفعال والصفات ، فالتشبيه لاينتزع من الطائر مباشرة وإنما ينتزع مما يضاف اليه . ومن المؤكد أن ابن رشد كان دقيقا كل الدقة حين تابع أرسطو فى تصور هذه الصيغة البيانية ، ولم